السنة: الأولى **الأستاذة: تيقرين**

مقياس: مدخل إلى علوم التربية

المحاضرة الرابعة

التربية عند الغزالي وابن خلدون

التربية عند أبو حامد الغزالي:

يعد أبو حامد الغزالي من بين مفكري الإسلام وفلاسفته في الأمور التربوية، ولد عام 1059 بمدينة طوس من أب فقير كان يشتغل بغزل الصوف، لذا هناك من يرجّع تسميته بالغزالي نسبة إلى مهنة والده، وهناك من يشير أنها نسبة إلى غزالة وهي بلد ينسب إليها.

وقد ورث عن أبيه حبّ العلم، فدرس علم الكلام والحكمة والفلسفة، وقد اشتغل بالتدريس ببغداد، جال بلاد عديدة من أجل البحث والتنقيب، لكنه رجع إلى طوس واشتغل بتأليف الكتب، حيث ترك ما يزيد عن 70 مؤلفا في الدين والفلسفة، وقد عرض في كتابه "إحياء علوم الدين" مختلف آرائه في التربية والتعليم وفي الأخلاق الحقّة.

آراء الغزالي في التربية والتعليم:

يرى الغزالي أنّ التعليم أشرف مهنة مستشهدا بقول الرسول صلى الله عليه وسلمّ "**إنما بعثت معلماّ**" وهو يرى أنّ الإنسان هو أشرف المخلوقات، وأشرف ما في الإنسان قلبه، ومادام المعلمّ يعمل على تطهير القلب وتقريبه إلى الله تعالى فإن مهنته من أشرف المهن.

وهو يرى أن العقل والحواس وخبرة الإنسان هي السبيل إلى المعرفة، وقد أشار إلى مفهوم التربية فقال "معنى التربية يشبه الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل نضجه".

يوصي الغزالي بالانتقال من البسيط إلى المركّب، وعدم الانتقال على المبتدئ، وهو يرفض فكرة حشو الأذهان بكمّ هائل من العلوم، وهو يهتمّ بالنوعيّة أكثر من اهتمامه بالكمية، فهو يشير إلى أهميّة إفادة الطفل بأمور محسوسة تشبع حاجاته، لأن الأمور التي لا تتصل بعالمه ولا بحاجاته فإنه لا يوليها بالغ أهمية.

كما يؤكد الغزالي عل ضرورة تطهير نفس المتعلّم من رذائل الأخلاق، بحيث يكون طاهر الباطن نقي القلب من الصفات الرديئة كالحقد والحسد وغيرها من الصفات الذميمة.

منهج الغزالي في تربية الطفل:

يرى الغزالي أن الطّفل يأتي إلى الحياة ونفسه صفحة بيضاء خالية من كلّ نقش وتصوير، وأنّ المربي أباً أو معلماً كان ينقش عليها ما شاء من خير أو شرّ، ولهذا يعلّق الغزالي أهمية كبيرة جدا على تربية الوالدين في السنوات الأولى من عمر الطفل.

وقد خصّص الغزالي فصلاً من كتابه "إحياء علوم الدين" لتربية الصّبي، وكانت خلاصة آرائه حول تربية الطفل كما يلي:

– وجوب العناية بتربية الطفل منذ اليوم الأوّل من حياته، لأن نفسه صفحة بيضاء، كل ما ينقش عليها يترك أثره.

– عدم تعويده على أسباب الرفاهية حتى ل يتعوّد على النعيم العيش فيصعب تقويمه بعد ذلك، كما يجب تعويده على اللباس المحتشم.

– يجب العمل على تهذيب الطفل وذلك بتعليمه الدين وقيامه بالعبادات اللاّزمة ومعرفته علوم الشّرع وتخويفه من السّرقة والكذب...

– أن يشغل وقت فراغ الصبّي حتى يبتعد عن العبث، وتعويده القراءة خاصة القرآن الكريم وحكايات الأنبياء والرّسل.

–الاعتدال في تهذيب أخلاق الصّبية، وإبعاد الصبيّ عن رفقاء السّوء، وعدم تعويده على التّراخي والكسل، والتساهل في التعامل معه، بل يجب الابتعاد عن التدليل والتنعيم.

– الريّاضة البدنية تقوي جسم الطفل وتملؤه نشاطا، لذلك يجب أن يعوّد على المشي والحركة حتى لا يغلب عليه الكسل.

– السّماح للطّفل باللعب بعد تعب التعلم، بشرط أن لا يكون لعباً شاقاً متعباً، حتى لا يمل الطفل من الدروس.

– تعويد الطفل على الصّبر والشجاعة واحترام الكبير وقلّة الكلام وحسن الإصغاء وطاعة الوالدين ويمنع من لغو الكلام والتفاخر على أقرانه بما يملك أبواه.

– يكافأ الطفل على جميل خلقه وحميد فعله قصد تشجيعه على المزيد منه.

– عدم الإكثار من اللوم والعنف عند وقوع الذنب، لأن كثرة العتاب والتوبيخ لا تفيد، وأن لا يكون العقاب علناً لأن ذلك يشجع على تكرار الخطأ، وكذا التقليل من العقاب حتى لا يتعود الطفل على المهانة، فيهون عليه سماع اللوم والتأنيب.

– مراعاة الفروق الفردية بين الصبيان ومعاملتهم تبعاً لأمزجتهم، وطبائعهم وسنهم وبيئتهم.

ومن خلال ما سبق ذكره عن تعليم الصبيان، فقد أكّد الغزالي على جملة من المبادئ التربوية الهامة وسنوجزها فيما يلي:

1/ البدء بالتعليم في الصّغر: وذلك عملاً بالحكمة القائلة "التعليم في الصغر كالنقش على الحجر" لأن الطفل في الصّغر قابل لكل ما ينقش عليه.

2/ مراعاة طبيعة الصبيّ: ضرورة فهم المعلم لطبيعة الصبيّ من خلال دراسة نفسية الصبيان، فهم ليسوا سواء، وأن يعمد المعلم على التدرج في التعليم من السّهل إلى الصّعب، لأن الموضوعات الصعبة تؤدي إلى ارتباكه العقلي وتنفره من العلم.

3/ التدرج في التعليم: إلى جانب التدّرج من السّهل إلى الصعب، يطالب الغزالي المعلّم أن لا يخوض في العلم دفعة واحدة، بل يتدرج فيه ويبدأ بالأهم، وأن لا يخوض في علم إلاّ بعد أن يتم ما قبله.

4/ **ضرورة الترويح واللعب في تربية الولد:** حيث أشار الغزالي أنّ اللّعب له ثلاث وظائف هامّة وهي: يروّض جسم الصّغير ويقويّه، يدخل السرور إلى قلبه، يريحه من تعب الدروس.

*أما فيما يخص تربية البنت، فالغزالي يرى أن العلم واجب على الذكور والإناث، ولكنه لم يهتم بالحديث الموسّع عن تربية البنت، ولم يكتب عنها إلاّ القليل.

المعلّم في نظر الغزالي:

يؤكد الغزالي على أهميّة الاشتغال بالتعليم ويعلي من قدر أصحابها، ويعظّم من شأن وخطر المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وفي ذلك قال "من علمّ وعمل بما علمّ فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماوات، فإنه كالشّمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها، وكالمسك الذي يطيّب غيره وهو طيّب".

وهو يرى أن يتحلى المعلمّ بمايلي من الصّفات:

1. الشّفقة والرّحمة على المتعلمين وأن يعاملهم معاملة الإبن.
2. أن يقتدي بصاحب الشّرع –صلى اللّه عليه وسلم–، فلا يطلب مقابل إعطاء العلم أجراً ولا جزاءاً، بل يعلمّ لوجه اللّه.
3. أن لا يبخل على الصبّي بالنصح والتوجيه والارشاد.
4. أن يزجر الصبّي عما يبدوا منه من سوء الخلق بطريقة الرحمة لا التوبيخ، وأن يكون تأديبه بالبرهنة والتوجيه.
5. التدرج في تعليم الصبيان على قدر فهمهم، مع مراعاة الفروق الفردية.
6. أن لا يقبّح في نفس المتعلّم العلوم الأخرى التي يدرّسها غيره.

7. أن يكون المعلمّ قدوة حسنة وأن يطابق قوله فعله، لأن أعين الصبيان إليه ناضرة وآذانهم إليه صاغية.

8. أن يكون وقدراً رزيناً لا ثرثاراً، ولا يظهر أمام التلاميذ بمظهر الخامل الكسلان.

الغاية من التربية عند الغزالي:

إنّ الغاية من التربية عند الغزالي هي التقرب إلى الله عز وجّل غير أنه لم يرفض الهدف التربوي والتثقيفي من التعلّم، ومدى أهمية ذلك في الحياة الدنيا وللإنسان كعلوم الطّب، الحساب والصناعات، التاريخ والسياسة.

غير أنّه يؤكد على أهمية العلوم الدينية وأنّها فرض على كل واحد، أما غيرها من العلوم فيقول أنها ليست مفروضة، وإنما تفيدنا فقط في الحياة الدنيا.

التربية عند ابن خلدون:

يعتبر ابن خلدون من أئمّة علماء العرب ومن أشهر علماء المسلمين الذين تعدّت شهرتهم حدود بلادهم، ولد عام 1332 بتونس وتوفي عام 1406 في القاهرة، درس العلم على أيدي علماء كثيرين، وإلى جانب انشغاله بالعلم، اشتغل بالسّياسة، والقضاء، اشتغل وزيراً وسفيراً وخطيباً ومدرّساً.

نشأ في أسرة جمعت بين العلم والرّئاسة، وقد كانت حياته مليئة بالهموم، هلك أبواه في الطاعون الذي شاع لفترة، وكان عمره 17 عاماً، بعدها شهد صدمة أخرى تمثلت في وفاة زوجته وبناته الخمسة غرقاً بالسّفينة ونجا ولديه فقط بعدما كانوا في طريقهم إليه من المغرب إلى القاهرة.

لابن خلدون مؤلّف معروف –العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر– وهي في سبعة أجزاء أشهرها الجزء الأكبر المعروف "بالمقدّمة" وقد حوت الكثير من العلوم، وقد عرض فيها آرائه في التّربيّة والتّعليم.

آراؤه التّربويّة:

- الاعتماد في البدء على الأمثلة الحسيّة لأن المبتدأ ضعيف الفهم.
- أن لا يؤتي بالغايات قبل البدايات أي لا يأتي المعلّم بالتعاريف والقوانين الكليّة أوّل الأمر، بل يبدأ بالجزئيّات وينتقل منها إلى الكليّات.
- تلقين العلوم يكون مفيداً إذا كان على التّدريج، إذ يلقي المعلّم على المتعلّم مسائل في كلّ باب من الفن هي أصول ذلك الباب، يشرحها بصفة إجمالية مراعيّاً في ذلك قدرة استيعاب المتعلّمين، فيحصل المتعلّم على إثر ذلك على معلومات عامّة وضعيفة حول ذلك العلم، والغاية من ذلك أنّها هيّأته لفهم الفنّ،

بعدها في خطوة موالية يرجع به إلى ذلك الفنّ ويستوفيه بالشرح والبيان ليخرج به عن الإجمال، فلا يترك غموضاً ولا مبهماً إلا وضّحه، وهو وجه التعليم المفيد حسب ابن خلدون وهو يحصل في ثلاث مراحل.

- يجب أن لا تقدّم للمتعلّم المسائل الصّعبة في بداية عهده بالتعلّم، ولا يتم ذلك دفعة واحدة، وإنّما يتم تدريجيّاً.
- عدم إطالة الفواصل الزّمنية بين الدّروس، خصوصاً بين دروس العلم الواحد حتى لا ينسى المتعلّم ما سبق أن درسه.
- أن لا يخلط على المتعلّم بعلمان معاً، لأن الفكر يتشتّت بين العلمان، فيحول ذلك دون الاستفادة من أيّ واحد منهما.
- الشدّة مضرّة بالمتعلّمين، فهو يحرص على الرّفق بهم، فالشدّة حسب ابن خلدون تؤدي إلى التبلّد والكذب والخبث.
- التعليم يكون بالمحاورة لا الحفظ، فهو يؤكدّ على ضرورة الفهم والوعي والمناقشة لا الحفظ الأعمى عن ظهر قلب، فالعلم يحصل بالمناقشة والمفاوضة في مختلف مواضيع العلم، فالحفظ يعمل على تكوين أفراد ضيقي الأفق، عميقي التفكير
- التعليم في الصّغر أشدّ رسوخاً، وهو الأمر الذّي أكدد عليه الغزالي وغيره من المربين المسلمين.
- تقديم تعليم العربيّة وتأخير تعليم القرآن، فابن خلدون يفضل تقديم تعليم العربية والشعّر على سائر العلوم وتأخير البدء بتعليم القرآن، كون العربية وسيلة لفهم القرآن.
- تعليم اللّسان العربي، فهو يؤكد على كثرة حفظ كلام العرب وأشعارهم والتمرّن على النسج على منوالهم، وحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السّلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاءهم وأشعارهم، إضافة إلى ضرورة معرفة قوانين النّحو والإعراب من أجل حسن تأليف الكلام وإجادة قوانين صناعة العربية.
- اعتبر ابن خلدون الفلسفة صناعة باطلة، لأن الفلاسفة يزعمون انّهم يعرفون كل شيء والعالم أوسع من أن يحاط به.
- أن يعتمد في تهذيب الأطفال على القدوة الحسنة، فالأطفال يأخذون بالتقليد والمحاكاة أكثر ممّا يأخذون بالنصح والإرشاد.
- يشير ابن خلدون إلى أهميّة الرّحلة في طلب العلم، لما فيها من اكتساب الفوائد ولقاء المشايخ، ويزيد من تجارب المتعلّم.

مبادئ التّعليم عند ابن خلدون:

- التدرّج من السّهل إلى الصّعب.
- البدء بالأمور الحسيّة، والانتقال من المحسوس إلى المجرّد.
- أن لا يأتي المعلّم بالتعاريف والقوانين الكليّة أوّل الأمر، بل يتم البدء بالجزئيّات ثمّ الانتقال إلى الكليّات.
- أن لا يطيل على المتعلّم في الفّن الواحد، وذلك بإطالة الفواصل الزّمنية بين الدروس، ممّا يؤدي إلى نسيان ما سبق تعلّمه.
- ألاّ يخلط على المتعلّم علمين معاً.